علّمتني سورة يوسف

واحة الإيمان
إشراف :
خديجة أحمد إمام

علّمتني سورة يوسف أن كتمان ما يعتلج بأنفسنا قد يكون خيرا من التصريح به فإن كثيرا ممن يحيطون بنا قد يسيئون فهمه

قَالَ يَا بُنَيَّ لَا تَقْصُصْ رُؤْيَاكَ عَلَى إِخْوَتِكَ فَيَكِيدُوا لَكَ كَيْدًا إِنَّ الشَّيْطَانَ لِلْإِنسَانِ عَدُوٌّ مُّبِينٌ (٥)

وأن اتهام الناس لك بالباطل قد يدفعك دفعا لاتخاذ قرارات خاطئة لمجرد دفع الشبهة عنك مما يجعلك تندم فيما بعد

(قَالُوا يَا أَبَانَا مَا لَكَ لَا تَأْمَنَّا عَلَى يُوسُفَ وَإِنَّا لَهُ لَنَاصِحُونَ) (١١)

وأن كثيرا من الوعود البراقة التي يسوقها البعض قد لا تكون صادقة في أحيان كثيرة

(أَرْسِلْهُ مَعَنَا غَدًا يَرْتَعْ وَيَلْعَبْ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ) (٢١)

وأن اتبع حدسك فيما استقبلت من الأمور فغالبا ما يكون صحيحا

(قَالَ إِنِّي لَيَحْزُنُنِي أَن تَذْهَبُوا بِهِ وَأَخَافُ أَن يَأْكُلَهُ الذِّئْبُ وَأَنتُمْ عَنْهُ غَافِلُونَ) (٣١)

وأن كثيرا من الدموع المنهمرة قد تكون كاذبة و أن كثيرا من الروايات المحبوكة قد تكون مختلقة

(وَجَاءُوا أَبَاهُمْ عِشَاءً يَبْكُونَ (٦١) قَالُوا يَا أَبَانَا إِنَّا ذَهَبْنَا نَسْتَبِقُ وَتَرَكْنَا يُوسُفَ عِندَ مَتَاعِنَا فَأَكَلَهُ الذِّئْبُ)

وأن زلة اللسان قد تفضح المرء بما يخبّئ من مشاعر

(وَمَا أَنتَ بِمُؤْمِنٍ لَّنَا وَلَوْ كُنَّا صَادِقِينَ) (٧١)

وأن كثيرا ممن يجترئون على فعل المحرمات لن يترددوا في اختلاق الأكاذيب ليدفعوا عن أنفسهم التهم

(قَالَتْ مَا جَزَاءُ مَنْ أَرَادَ بِأَهْلِكَ سُوءًا إِلَّا أَن يُسْجَنَ أَوْ عَذَابٌ أَلِيمٌ) (٥٢)

وألا ندعو على أنفسنا بالشر فلربما تكون ساعة إجابة

(قَالَ رَبِّ السِّجْنُ أَحَبُّ إِلَيَّ مِمَّا يَدْعُونَنِي إِلَيْهِ)

وأن الصالحين ليفضلون شظف العيش على العيش في الترف المحرم

(وَإِلَّا تَصْرِفْ عَنِّي كَيْدَهُنَّ أَصْبُ إِلَيْهِنَّ وَأَكُن مِّنَ الْجَاهِلِينَ) (٣٣)

وأن الإنسان أصيل المعدن يكون محسنا في أوقات يسره وأوقات عسره

(إِنَّا نَرَاكَ مِنَ الْمُحْسِنِينَ) (٦٣)

(إِنَّا نَرَاكَ مِنَ الْمُحْسِنِينَ) (٨٧)

وأن الإنسان صاحب الرسالة لا تصرفه ظروفه الصعبة عن تبليغ رسالته

(يَا صَاحِبَيِ السِّجْنِ أَأَرْبَابٌ مُّتَفَرِّقُونَ خَيْرٌ أَمِ اللَّهُ الْوَاحِدُ الْقَهَّارُ) (٩٣)

وأن أسلوب التشويق مفيد جدا في توصيل المعلومة

(قَالَ لَا يَأْتِيكُمَا طَعَامٌ تُرْزَقَانِهِ إِلَّا نَبَّأْتُكُمَا بِتَأْوِيلِهِ قَبْلَ أَن يَأْتِيَكُمَا)

وأن الاعتماد على غير الله يؤخر في الوصول للهدف

(وَقَالَ لِلَّذِي ظَنَّ أَنَّهُ نَاجٍ مِّنْهُمَا اذْكُرْنِي عِندَ رَبِّكَ فَأَنسَاهُ الشَّيْطَانُ ذِكْرَ رَبِّهِ فَلَبِثَ فِي السِّجْنِ بِضْعَ سِنِينَ) (٢٤)

وأن تبرئة الساحة هي من الأمور شديدة الأهمية قبل تولي المناصب العليا

(وَقَالَ الْمَلِكُ ائْتُونِي بِهِ فَلَمَّا جَاءَهُ الرَّسُولُ قَالَ ارْجِعْ إِلَىٰ رَبِّكَ فَاسْأَلْهُ مَا بَالُ النِّسْوَةِ اللَّاتِي قَطَّعْنَ أَيْدِيَهُنَّ إِنَّ رَبِّي بِكَيْدِهِنَّ عَلِيمٌ) (٥٠)

وأن اتهام النفس وعدم الإعجاب بها وإرجاع الفضل لله هو من سمات الصالحين

(وَمَا أُبَرِّئُ نَفْسِي* إِنَّ النَّفْسَ لَأَمَّارَةٌ بِالسُّوءِ إِلَّا مَا رَحِمَ رَبِّي * إِنَّ رَبِّي غَفُورٌ رَّحِيمٌ) (٣٥)

وأن المعرفة الحقيقية لقدراتنا وملكاتنا هي طريق النجاح

(قَالَ اجْعَلْنِي عَلَىٰ خَزَائِنِ الْأَرْضِ إِنِّي حَفِيظٌ عَلِيمٌ) (٥٥)

وأن التخطيط السليم والإحاطة بقواعد اللعبة والاستعانة بالله مهم جدا للوصول إلى الهدف المنشود

(فَبَدَأَ بِأَوْعِيَتِهِمْ قَبْلَ وِعَاءِ أَخِيهِ ثُمَّ اسْتَخْرَجَهَا مِن وِعَاءِ أَخِيهِ كَذَٰلِكَ كِدْنَا لِيُوسُفَ مَا كَانَ لِيَأْخُذَ أَخَاهُ فِي دِينِ الْمَلِكِ إِلَّا أَن يَشَاءَ اللَّهُ نَرْفَعُ دَرَجَاتٍ مَّن نَّشَاءُ وَفَوْقَ كُلِّ ذِي عِلْمٍ عَلِيمٌ) (٦٧)

وأن ضبط النفس وعدم الانسياق في الرد على الاتهامات الباطلة هي من صفات الصالحين

(قَالُوا إِن يَسْرِقْ فَقَدْ سَرَقَ أَخٌ لَّهُ مِن قَبْلُ فَأَسَرَّهَا يُوسُفُ فِي نَفْسِهِ وَلَمْ يُبْدِهَا لَهُمْ قَالَ أَنتُمْ شَرٌّ مَّكَانًا وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا تَصِفُونَ) (٧٧)

وأن تبرئة النفس والتبرؤ من كل متهم ولو كان مظلوما هو من طبيعة النفس البشرية

(ارْجِعُوا إِلَىٰ أَبِيكُمْ فَقُولُوا يَا أَبَانَا إِنَّ ابْنَكَ سَرَقَ وَمَا شَهِدْنَا إِلَّا بِمَا عَلِمْنَا وَمَا كُنَّا لِلْغَيْبِ حَافِظِينَ) (١٨)

وأن حسن الظن بالله هو طوق النجاة في أحلك الظروف

(قَالَ بَلْ سَوَّلَتْ لَكُمْ أَنفُسُكُمْ أَمْرًا فَصَبْرٌ جَمِيلٌ عَسَى اللَّهُ أَن يَأْتِيَنِي بِهِمْ جَمِيعًا إِنَّهُ هُوَ الْعَلِيمُ الْحَكِيمُ) (٣٨)

وأن الاعتراف بفضل الله ساعة الانتصار هو من سمات الصالحين

(قَالُوا أَإِنَّكَ لَأَنتَ يُوسُفُ قَالَ أَنَا يُوسُفُ وَهَٰذَا أَخِي قَدْ مَنَّ اللَّهُ عَلَيْنَا إِنَّهُ مَن يَتَّقِ وَيَصْبِرْ فَإِنَّ اللَّهَ لَا يُضِيعُ أَجْرَ الْمُحْسِنِينَ) (٠٩)

وأن البعد عن اللوم والتقريع بعد إظهار الحق أولى من الاندفاع في لوم من أخطأ في حقنا

(قَالَ لَا تَثْرِيبَ عَلَيْكُمُ الْيَوْمَ يَغْفِرُ اللَّهُ لَكُمْ وَهُوَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ) (٢٩)

وأن حنان الأب قد يغلب الجرح العميق الذي تسبب فيه الأبناء

(قَالَ سَوْفَ أَسْتَغْفِرُ لَكُمْ رَبِّي إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ) (٨٩)

وأن من أدب الحديث ألا نلوم من أظهرنا الله عليه وأن نرجع الأمر لكيد الشيطان

(مِن بَعْدِ أَن نَّزَغَ الشَّيْطَانُ بَيْنِي وَبَيْنَ إِخْوَتِي)

وأخيرا أن إرجاع الفضل لله وشكر نعمه وطلب عونه فيما هو قادم من الأمور هو من سمات النفوس الكريمة

(رَبِّ قَدْ آتَيْتَنِي مِنَ الْمُلْكِ وَعَلَّمْتَنِي مِن تَأْوِيلِ الْأَحَادِيثِ فَاطِرَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ أَنتَ وَلِيِّي فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ تَوَفَّنِي مُسْلِمًا وَأَلْحِقْنِي بِالصَّالِحِينَ) (١٠١)

هذا قليل من كثير في سورة يوسف

فكل آية بل كل مقطع يحوي العديد من الرسائل والعبر لمن يتدبر هذا الكتاب العزيز

(لَقَدْ كَانَ فِي قَصَصِهِمْ عِبْرَةٌ لِّأُولِي الْأَلْبَابِ مَا كَانَ حَدِيثًا يُفْتَرَىٰ وَلَٰكِن تَصْدِيقَ الَّذِي بَيْنَ يَدَيْهِ وَتَفْصِيلَ كُلِّ شَيْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ) (١١١)

أين المتصدق بعرضه البارحة؟!

كانت غزوة تبوك علامةً فارقةً في غزوات النبي صلى الله عليه وسلم رغم أنه لم يحدث فيها قتال أبداً، ولكنها كانت كذلك لأنها كانت الغزوة الأبعد عن المدينة المنورة، ولأن الوقت صيف والصحراء لظى، وما زاد الطين بلة أن بيت المال كان خالياً، فحثَّ النبيُّ صلى الله عليه وسلم المسلمين على الصدقة لتجهيز الجيش الذي عُرف في كتب السيرة بجيش العُسرة!

فجادوا ولم يُقصروا، ...

جاء أبو بكر بكل ماله، وعمر بنصف ماله، والعباس بن عبد المطلب بدراهم لا تُحصى، وكلٌّ قد جادَ بما عنده، غير أن تلك الغزوة كانت غزوة الثَّري عثمان بن عفان الذي جهَّز وحده ثلث الجيش، فحاز على وسام نبوي شريف من رتبة: ما ضرَّ عثمان ما فعل بعد اليوم!

وبينما النبيُّ صلى الله عليه وسلم يحثُّ على الصدقة، قام عُلبة بن زيد فقال: يا رسول الله إني فقير، وليس لديَّ ما أتصدقُ به، ولكني أُشهدكَ أني تصدقتُ بعرضي على من ناله من المسلمين.

فلم يعلقْ النبي صلى الله عليه وسلم على قول عُلبة، ولكنه في اليوم التالي أمرَ من يُنادي: أين المتصدق بعرضه البارحة ؟!

فقام عُلبة بن زيد فقال: ها أنا يا رسول الله.. فقال له النبيُّ صلى الله عليه وسلم: قد قبلَ الله منك صدقتكَ!

انظرْ إلى الخُلق الذي يعاملُ به خلقه، فعاملهم أنتَ به تنلْ رضاه!

لا شيء أحبّ إلى الله تعالى من العفو، وإن أحبَّ أسمائه إليه الرحمن، والعفو جزء من الرحمة، فارحمْ تُرحمْ، واعفُ يُعفَ عنك!

كن مبادراً ولا تدع الشيطان يُدندن على وتر كرامتك!

إذا حصل خلاف بينك وبين أخ أو أخت، ورأيتَ الحقَّ معك، فلا تنتظر كثيراً، فكلما طال أمد الخلاف قست القلوب، بادِرْ، وقل اللهم قد تصدقتُ بمظلمتي طمعاً بما عندكَ! وأن الذي قبلَ صدقة عُلبة بن زيد سيتقبل صدقتكَ!

تصدَّق بعرضك على الجار الذي أساء إليكَ وكُن خير بني آدم!

تصدَّق بعرضك على الزميل الذي أساء إليكَ، فالحقد يفسدُ القلوب، فطهِّرْ قلبكَ بالتسامح!

الأمر صعب أحياناً، فالإنسان كرامة وليس بالضرورة أن تعود المياه إلى مجاريها، ولكن لماذا على الماء أن يبقى راكداً وآسناً؟!

■ ليس المطلوب أن تُعانق عناق الأحبة وإنما المطلوب ألا تُدبر إدبار الأعداء، وحسبك وعد النبي صلى الله عليه وسلم: ما زاد الله عبداً بعفوٍ إلا عِزاً!

لإيلاف قريش

(لإيلاف قريش)

هذه أول آية من سورة قريش تناقش مشكلة حياتية وهي (إلف النعمة)، يقول الله لنا لإيلاف قريش واعتيادهم على استقامة مصالحهم ورحلتيهم بالشتاء والصيف دون النظر لواهب هذه النعم ومديمها !

كان أهل قريش معتادين على الفقر والجوع والحياة البدائية البسيطة..

لدرجة عندما يصل أحدهم لشدة الفقر كان يأخذ أهل بيته لمكان يسمى بالخباء يمكثون فيه حتى يموتوا من الجوع كلهم ...

والعادة هذه في الجاهلية كان اسمها الاعتفار...

وكان هناك عائلة كبيرة اسمها بني مخزوم كانوا سيموتون من الجوع الشديد ، عندما وصل خبرهم لهاشم بن عبد مناف أحد كبار التجار .. استاء من وجود هذا الجهل والفقر في أهل البيت الحرام ،

فجاء هاشم بن عبد مناف وغيّر هذه العادة .

وقال لهم أنتم أحدثتم عادة تذلّون بها بين العرب وأنتم أهل بيت الله والناس لكم تبع ..

فقسم القبيلة لعشائر ، وأمر كل غني منهم بتقسيم ماله مع الفقراء من عشيرته حتى أصبح الفقير مثل الغني ...

وعلمهم أصول التجارة ، ونظم لهم رحلتين في العام ، رحلة للشام ورحلة لليمن...

في الشام علمهم تجارة الفواكه في الصيف ...

وفي اليمن علمهم تجارة المحصولات الزراعية في الشتاء ، حتى جاء خير الشام وخير اليمن لمكة وأصبح سكان مكة في حال أفضل وانتهت ظاهرة الاعتفار ..

بدأ أهل قريش يكفرون بالنعمة بعدم شكر الله عليها..

كفران النعم هو أن تألفها فلا تراها نعمة ..

فلما ألفت قريش النعم التي أنزلها الله عليهم... أنزل الله فيهم الأمر الإلهي بأن يعبدوا رب هذا البيت ...

(فليعبدوا رب هذا البيت الذي أطعمهم من جوع وآمنهم من خوف)

نعم الله على الناس عموماً لا تحصى ، فإن لم يعبدوه لسائر نعمه فليعبدوه لهذه النعمة الواحدة التي هي نعمة ظاهرة وهي دوام النعمة...

وهي إطعامهم بعد الجوع ... وتأمينهم بعد

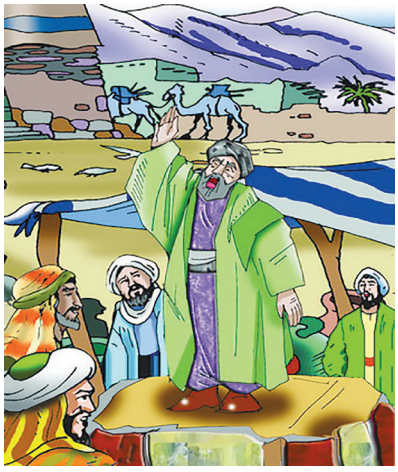

اعتيادهم العيش في رعب وخوف من الموت ...

(أطعمهم من جوع * وآمنهم من خوف)

لا تألف فتجحد ، لكن اشكر الله تألفك نِعمته ....

افرح بنعمة الله عليك واشكرها حتى لو تكررت ألف مرة ، لأن مجرد دوام النعمة نعمة ، وإلف النعمة وعدم شكرها جحود وظلم ..

ولتبقى كلمة « الحمد لله » على لسانك في كل وقت ، قلها بقلبك عن رضا واقتناع ... كم لنا فيها من أجر عظيم

الحمد لله دائماً وأبداً..